النصُّ القُرآني ومعياريّة النحو العربي
The Qur'anic text and standard Arabic grammar

أ.م.د ظافر عبيس الجياشي
جامعة المثنى- كلية التربية الأساسية- العراق
Dhafeer.alrubeaai@mu.edu.iq

م.د موفق مجيد ليلو
المديرية العامة للتربية ميسان- العراق
muaffaqmajeed@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/04/09	تاريخ القبول: 2022/05/12	تاريخ النشر: 2022/05/15

Abstract

This study provides an idea of the Qur'anic text transcending the idea of normative in Arabic grammar by identifying the concept of standardism and its causes, and the applicability of the term curriculum to it, and then showing its implications in the Arabic way, by showing the results of the standard that caused the rigidity of the grammar lesson and the closure of the door (renewal), and the tyranny of limits, conventions and logical tendencies on it. On the contrary, we believe that the Qur'anic text has been characterized by compositions and special expressions that have not preceded it, surpassing the fixed Arabic patterns and stereotypes to achieve the purposes it desires, which prompted scholars to reconsider many of the strict rules formulated by the sculptor by extrapolation and research, the circle of grammatical interpretation has widened, and the confusion of the literature of this text and the aesthetics of its composition .
Keywords: Qur'an- Normative- Grammar- Text - Method

مُلخّص البحث

تقدِّم هذه الدراسة فكرةً عن تجاوز النص القرآني لفكرة المعيارية في النحو العربي من خلال الوقوف على مفهوم المعيارية وأسبابها، ومدى انطباق مصطلح المنهج عليها، ثم بيان ما تركته من آثار على النحو العربي، من خلال بيان نتائج المعيارية التي تسببت في جمود الدرس النحوي وإغلاق باب (التجديد)، وطغيان الحدود والاصطلاحات والنزعة المنطقية عليه. في مقابل ذلك نرى أنَّ النص القرآني قد تميَّز بتراكيب وتعبيرات خاصة لم تُسبق متجاوزا بذلك الأنساق

والقوالب العربية الثابتة لتحقيق الأغراض التي يبتغيها، مما دعا الدارسين الى إعادة النظر في الكثير من القواعد الصارمة التي صاغها النحاة بالاستقراء والبحث، فاتسعت دائرة التأويل النحوي، وتحيّرت الألباب لتتيهَ في عظمة هذا النصِ وجماليات تركيبه.

الكلمات المفتاحية: القرآن- معيارية- نحو- نص- منهج.

المقدمة

كان للجهود النحوية الكبيرة التي بذلها أعلام النحو العربي أثرٌ كبيرٌ في حفظ التراث النحوي ونضْج هذا العلم، ولا يخفى مقدار العناء والجهد الذي أنفقه العلماء في عمليات الجمع والتصنيف والتقعيد ليصل إلى ما وصل إليه. غير أنَّ هذه القواعد- مع تقادم الدهر- أصبحت (مقدساً) لا يمكن المساس به أو مخالفته بعد تحديد المعايير وضبط القواعد، بل عُدَّ كل ما خالفها شاذاً أو قليلاً، مع أنَّ استقراءهم كان ناقصاً، فلم تدخل القبائل كلها في حيّز الدراسة، ولم يراعَ في قواعدهم الزمان وتطوراته، والمجتمع وطبقاته، والمكان واختلافاته. ولأنَّ بعض ما أسَّسوا عليه كان منحولاً أو موضوعاً أو قليلاً، اضطرهم ذلك إلى تأويل النص المقدس (ليوافق قواعدهم)، وأدَّى ذلك إلى ميل الدرس النحوي من الوصفية إلى المعيارية، وليتها كانت مرتبطة بنصٍ معصومٍ اتفقت عليه الأمة .

إنَّ هذه الدراسة تحاول الوقوف على مفهوم المعيارية في النحو العربي، وأهم أسبابها ونتائجها على الدرس النحوي الأكاديمي، وما لحقه من تعقيد، وسبيل الخروج من هذه الصرامة التي وسمت النحو العربي فتركته صلداً لم تنله كل محاولات التجديد منذ ابن مضاء القرطبي وحتى د. تمام حسان ومن جاء بعده. فتحول إلى قواعد صارمة لا تقبل الجدل وثوابت لا تتزعزع على مرّ الدهور، ولا يمكن مخالفتها أو حتى نقدها. وأصبحت تدرَّس في المدارس والجامعات في ضوء الصورة التي ثبتت عليها، وأسَّس لها أهلهُ وحَمَلَتهُ، فكان التأويل والقياس والأمثلة المخترعة، والمسموع الذي يخالف كل مشهور، والشاهد الذي لا يعرف قائله، والأوجه المحتملة والاشتغال والجدل والنزاعات النحوية وغيرها مما تطول القائمة بذكره. ومع الفائدة الكبيرة التي تركها هذا الحراك الفكري للنحو العربي حتى استوى على سوقه، غير أنَّ ذلك الأمر فيه من التعقيد على متعلم العربية والناطق بها الشيء الكثير، إذ يجد بوناً شاسعاً بين ما يقرِّرهُ النحو، وما ينطق به اللسان العربي المبين في القرآن الكريم. لذا يبدو لزاماً أن نجعل هذه المعيارية مرنة بعض الشيء لتتفق مع نصّ القرآن الكريم في أقل تقدير، وهو الذي سنَّ الفصاحة وسبق القاعدة، والمقعِّدين لها. واقتضت طبيعة البحث أن يقسم على مقدمة، وثلاثة مباحث، تناولنا في المبحث الأول: المعيارية بين المنهجٌ والأنموذج، وفي المبحث الثاني: أسباب المعيارية في النحو

العربي ونتائجها، وجاء المبحث الثالث: بالنص القرآني والقواعد المعيارية للنحو العربي، تبع ذلك خاتمة لأهم نتائج البحث .

المبحث الأول

المعيارية بين المنهجٌ والأنموذج

المعيارية

قد يختلف مفهوم المعيار باختلاف المجال الذي يبحث فيه، ولكنه بصورة عامة يدل على الأنموذج والقاعدة. والعيار « في الأصل مصدر (عايرت المكاييل والموازين) إذا قايستها، ثم نقل إلى الآلة، أعني ما يقاس به، ثم الدليل الذي يُعرف بهِ حال الشيء»[1]. وأمَّا المعيار فهو «ما يُعرفُ به العيار»[2]. ولذا ورد في معناه عند المناطقة بأنَّه «نموذجٌ مشخصٌ، أو مقياسٌ مجردٌ، لما ينبغي أن يكون عليه الشيء، ويرادفه العيار، وهو ما جُعِلَ قياساً ونظاماً للشيء»[3].

وهو بهذا المفهوم يعبِّر عمَّا ينبغي أن يكون عليه الشيء، أو القالب الذي يجب أن تنطبق عليه المصاديق، وهذا المعنى يقترب من مفهوم القاعدة «وهي القضية الكلية المنطبقة على جزئياتها، أو النموذج المثالي الذي تنسب إليه أحكام القيم»[4]. وهذا المعنى نجدهُ في العلوم المختلفة، ففي الأخلاق «هو النموذج المثالي الذي تُقاس به معاني الخير، وفي الجمال هو مقياس الحكم على الإنتاج الفني، وفي المنطق هو قاعدة الاستنتاج الصحيح، وفي نظرية القيم هو مقياس الحكم على الأشياء. والمعياري هو المنسوب إلى المعيار، ومنهُ العلوم المعيارية، وهي– عند (ووندت)، العلوم التي تهدف إلى صوغ القواعد والنماذج الضرورية لتحديد القيم، كالمنطق والأخلاق وعلم الجمال، وهي مقابلة للعلوم المسماة بالعلوم التفسيرية أو التقريرية التي تقوم على ملاحظة الأشياء، وتفسيرها كما هي عليه في الطبيعة، فهي إذن علوم خبرية، بخلاف العلوم المعيارية التي يمكن تسميتها بالعلوم الإنشائية»[5].

ويلحظ على النص أنَّ المعيارية جاءت وصفاً للعلوم في مقابل التفسيرية أو التقريرية (ويعني بها هنا الوصفية) وهي ليست منهجاً، بل وصفاً وسمة للعلوم وليست منهجاً صريحاً، أو قل: استراتيجية لصوغ القواعد والنماذج المثالية وليست منهجاً مقابلاً للوصفية أو التاريخية أو غيرها، وهذا ما سنؤكده لاحقاً.

المنهج

يشير الجذر اللغوي (نهج) إلى الطريقة والسلوك، وقد عُرِّفَ المنهج بأنه: «الوجه الواضح الذي جرى عليه الاستعمال»[6]. فهو «الطريق الواضح، والسلوك البيِّن، والسبيل المستقيم»[7]. أو هو

«سلسلة من العمليات المبرمجة، والتي تهدف إلى الحصول على نتيجة، مطابقة لمقتضيات النظرية»[8].

فالمنهج طريقةٌ منظمةٌ في البحث تتَّبع خطوات متسلسلة من خلال المعطيات المتوافرة للوصول إلى نتائج وحلول. ولذا فإنَّ البحوث العلمية لا تخلو من منهج؛ لأنَّها تقوم على أسسٍ علميةٍ وخطواتٍ متتابعة بهدف الوصول إلى النتائج.

المعيارية في النحو العربي

يحتاج الباحث في ميدان المناهج اللغوية إلى أن يمهدَ– ولو بصورة مختصرة– للمنهج الوصفي ليفهمَ المعيارية، ولذا كان لابدَّ من المرور عبر الوصفية إلى المعيارية، التي ربما يعدُّها بعض الدارسين منهجاً أو اتجاهاً، ونقصد بالوصفية: «وصف اللغة من حيث هي تنظيم قائم بذاته»[9]، انطلاقاً من كلام (دي سوسير) الذي أرسى دعائم هذا المنهج قائلاً: «إنَّ موضوع الدراسات اللغوية الوحيد والحقيقي هو اللغة التي تنظر إليها كواقع قائم بذاته ويُبحث فيها لذاتها»[10].

ويرتكز هذا المنهج على أسسٍ ثلاثة: الزمان والمكان ومستوى الأداء. وأما خطواته فهي: الاستقراء والتصنيف والتقعيد[11]، ورغم أهمية المنهج الوصفي إلا أنَّ النحو العربي قد خرج في بعض مراحله عن الوصفية، بل تحوَّل إلى المعيارية، فقطعَ بذلك طريق (الاجتهاد)، وتوقف الزمن عند القرن الثالث الهجري، ويعود ذلك الجمود الذي أصاب النحو وقواعده إلى جملة أسباب أدَّت بالنحو إلى الخروج عن المنهج الوصفي[12] يلخصها د. نعمة رحيم العزاوي بـ:

1- لم تكن دراسة النحاة العرب للغة في ذاتها ومن أجل ذاتها كما يتطلب ذلك المنهج الوصفي، بل كانت دراستهم لها لغرض تعليمي.
2- خلط المراحل الزمانية.
3- خلط البيئات المكانية.
4- خلط مستويات الأداء.

انطلاقا من هذه الأسباب وغيرها يمكن أنْ نرى البدايات الأولى للنحو العربي التي كانت وصفية بصورة واضحة ثم مالت نحو المعيارية.

أما المعيارية فلم تُنسبْ كبقية المناهج إلى لغوي معين، وإنَّما هي «فكرةٌ تقليديةٌ مشهورةٌ تمثلها العبارة الآتية: اللغة هي ما يجب أنْ يتكلَّمه الناسُ، وليست ما يتكلَّمه الناس بالفعل»[13]، ولذا فإنَّ بعض الباحثين لا يعدَّ (المعيارية) منهجاً. وهذا ما يؤكده د. الياقوت في أنَّ المعيارية «

لم ينسبها إلى أحد، ولم يصفْها بأنَّها منهج، أو يحدد نشأتها بزمن معين، أو يذكر بدء اشتهارها، أو يحدِّد ملامحها، غير أنَّ اللغة كما يجب أنْ تكون»[14].

وهو يشير إلى أنَّه لم يجد مصطلح المنهج المعياري في المعجمات الأجنبية، بل وجد فيها (المعيارية) غير مقترنة بكلمة المنهج، وقد عُرفت بأنَّها اصطلاح استعمله اللغويون لوصف (اتجاه) يهدف إلى وضع ضوابط لصحّة اللغة كما يجب أن تستخدم[15].

لذا نرى الدارسين حذرين في إطلاق كلمة منهج على المعيارية كما نجد ذلك عند د. تمام حسان، فيرى أنها « تصوُّرٌ معين للغة يراعيه المستعمل، ويعمل على مطابقته، ولذا لم يربط تمام حسان بين المعيارية والمنهج في حين أنَّه رأى أنَّ الوصفية هي المنهج الأمثل للدراسات اللغوية في العصر الحاضر»[16].

والمعيارية تبدأ بفرض القواعد، أي تبدأ بالكليات وتنتهي إلى الجزئيات، أي «أنَّها تعتمد القاعدة أساساً وتنأى عن الوصف، وتتأوَّل لما خرج عن القواعد التي يصوغها بأحكام شتى أو يحكم عليها بالشذوذ والقلة إن لم يجد لها تأويلاً مناسباً، ولو كان بعيداً أو مستغرباً»[17]. وعليه فإنَّ اللغة بالنسبة للباحث ظواهر تلاحظ، يشغل نفسه بالمادة اللغوية، وبالنسبة للمتكلم معايير تراعى وميدان حركة.

ويذكر د. تمام حسان خطورة تسرّب المعيارية إلى النحو العربي وأثرها فيه، فالمعيارية «إذ تصل إلى القاعدة تقف عندها، وتلزمها وتبطل بها كل بحث لاحق لها يؤدي إلى التعديل أو التحويل، فالقاعدة لدى المعيارية غاية في نفسها وقانون ذو سلطة توجب وتجيز وتمنع، والناس أمام هذه السلطة رعايا يطيعون، ومن هنا سمحت الصبغة المعيارية لمنهج النحو أنْ تتحجر دراسته على صورتها بعد أنْ اكتملت لها القواعد وظهر قول بعضهم: إنَّ النحو نضج حتى احترق»[18].

يؤكد هذا النص المهم على مدى خطورة المنهج المعياري– إذا صحَّ أنْ نُطلق عليه منهجاً- وأثره في جمود النحو وغياب الذائقة وتحوّله إلى منظومات وقواعد وحدود أشبه بالمنطق الصارم والقواعد العقلية التي لا تقبل الجدل، ومن ثمّ تعقّد الدرس النحوي ووسائل تعليمه وتفريعاته وتأويلاته وتعليلاته، وغياب ما يؤيد ذلك من التنزيل الحكيم الذي يمثِّل قمة الفصاحة، بل تحوّلت القواعد الصارمة إلى عنفٍ لغويٍّ وسلطة تهيمن على كل النصوص، وتتأوَّل ما لا يوافقها، مما دعا الدارسين والباحثين إلى محاولات الوقوف بوجه هذه الصرامة، والكتابة بلغة تحاول أن تتخطى التعقيدات التي (بغَّضت) النحو إلى (أبنائه)، وهو ما انسحب على النحو العربي بصورة عامة، فتجد ذلك ملموساً، من دون الحاجة إلى شواهدَ في مدارسنا

وكلياتنا، إذ تمتلئ ذاكرة الطالب بالمصطلحات والقواعد والحدود دون أنْ يستطيع كتابة صفحة، بل ثلاثة أسطر خالية من الأخطاء، وإذا لم يكن ذلك هو السبب الوحيد، فإنَّه- لاشك- أحدها.

ولسنا- بهذا القول- ننسف المنظومة النحوية، أو ننكر جهود العلماء الذين حفظوا التراث ولولاهم لما وصل إلينا ما وصل، غير أنَّنا ننعى على النحو العربي ذلك التطرف والتشدد في القواعد وتلك الصرامة التي أفقدت النحوَ بريقَه.

والمعيارية تظهر في دراسة اللغة في جانبين:

1- خلال عملية الوصف، وذلك بهدف اطِّراد القواعد والحرص على تمثيلها للاستعمال العام.

2- بعد انتهاء الوصف واستخلاص القوانين وصياغة النظام[19]، للمحافظة على الاستقرار اللغوي بين مجموعة الفئات التي تنتمي إليها الأمة، وتزداد الحاجة إليها كلما اتّسعت الأمة، وهي موجودة في اللغات كلها، غير أنَّ اللغةَ العربيةَ أكثرُ حاجة إليها من غيرها من اللغات؛ لعلاقتها الخاصة بالقرآن الكريم.

وبناءً على ما تقدَّم فإنَّنا نرى أنَّ المعياريةَ لا تبدأ مع اللغة، وإنَّما تبدأ اللغةُ وصفيةً عن طريق الاستقراء، وبعدها تمرُّ بمراحلِ التصنيف والتقعيد، فتكون تلك الصورة النهائية للقاعدة والضوابط التي تَعدُّ كلَّ ما خرج عنها مخالفاً لتلك القواعد وشاذاً، ولكن بالنسبة للغة العربية- كما ذكرنا – كانَ الأولى أنْ يقيمَ النحويون استقراءهم على القرآن الكريم خاصة وإن أكثر ما أُلِّفَ كان في القرن الثاني للهجرة.

فلنا أن نتساءل:

أولا: عن أسباب المعيار العربي واختياره.

وثانيا: انتقاء المعيار واختياره.

وثالثا: لِمَ لم يُعتمد القرآن الكريم معياراً ثابتاً وقالباً مثالياً للنحو العربي؟

المبحث الثاني

أسباب المعيارية في النحو العربي ونتائجها

أسباب المعيارية

اختلف الباحثون في أسباب ظهور المعيارية في النحو العربي، فيذكر د. علي زوين أنَّ من أسباب المعيارية أنَّ «لهجةَ منطقةٍ من البلد اتخذت مقراً للحكم، أو لهجة مجموعة من الناس أصبح لهم سيطرة عسكرية أو لهجة منطقة لها زعامة أدبية»[20]. وهو رأيٌ وجيهٌ- إنْ لم يكن سبباً رئيساً- في معيارية النحو العربي، فلقد كانت مكة موطن الزعامة الروحية التي تمثلت

ببيت الله الحرام، مما جعلها مركزاً للدولة الإسلامية والتجارة والسياسة والأدب في آن واحد. وهو ما دفعهم إلى التسلط على كلِّ شيء، بل وحتى اللغة. فشاع لدى الباحثين أنَّ القرآن نزل بلغة قريش، وإنْ كان من المعروف تاريخياً أنَّ القرآن الكريم لم ينزل بلسان قريش فقط، بل نرى فيه لهجات أخرى كتحقيق الهمز ولغة (أكلوني البراغيث)، وحتى بعض الألفاظ الأعجمية المتداولة لدى العرب. وهذه الأمور لم تكن مما اتسمت به لهجة قريش، غير أنَّ ذلك لم يمنعهم من تأوِّل بعض الآيات التي خالفت قواعدهم (الوضعية) بما يناسب تلك الضوابط.

وإذا كان السبب السياسي المتمثل بالسيطرة العسكرية أو مركزية الحكم هو الذي دفع القواعد النحوية صوب المعيارية، فإنَّ الزعامة الأدبية هي الأخرى كانت سبباً في ذلك، حتى أنَّ الشعر العربي نفسه نال حظاً وافراً من المعيارية، التي تمثلت بما يسمى بـ(عمود الشعر) ذلك الالتزام الصارم الذي وضعه النقاد وخطَّأوا كلَّ من خرج عنه، حتى ألَّفوا في ذلك الكتب والرسائل في مساوئ الشعراء كأبي تمام والمتنبي.

ولا ننسى الغرض التعليمي، أي محاولة ضبط اللغة بقواعد لتسهل على المتعلمين، «فالتعليمية أداة المعيارية، إذ بواسطتها (كذا)[21] يمكن المحافظة على المستوى الصوابي لمعيارية اللغة»[22]. وهو من الأغراض الرئيسة التي دفعت إلى نشأة النحو العربي كما تروي كتب التأريخ وتراجم النحاة، ذلك «أنَّ الغاية التي نشأ النحو العربي من أجلها- وهي ضبط اللغة وإيجاد الأداة التي تعصم اللاحنين من الخطأ- فرضت على هذا النحو أن يتسم في جملته بسمة النحو التعليمي لا العلمي، أو بعبارة أخرى أن يكون في عمومه نحواً معيارياً لا نحواً وصفياً»[23]. إلَّا أنَّ بعض الباحثين يعارض هذه الرؤية من خلال تتبع منهجية كتاب سيبويه قائلاً: «هذا الاتجاه العلمي الخالص في الكتاب ينفي الادعاء التعليمي– البيداغوجي عنه، ذلك أنَّ الجانب الذي طغى على أعمال النحاة المتأخرين، وعلى اتجاهات النحو العربي بصفة عامة، الأمر الذي جعل من ذلك النحو مجردَ معيارٍ ثابتٍ للحكم على المادة اللغوية من حيث الصحة والخطأ والقبول والرفض»[24].

ويضيف د. تمام حسان سبباً آخرَ يتعلق بنشأة النحو، وهو «عدم استخدام النحاة للقوائم وعدم اصطناعهم النصوص والحوار المعدّ، ولقد قادتهم هذه الصبغة القياسية لمنهجهم أن يرفضوا ما ينطق به بعض الفصحاء لمنافاته لقواعدهم التي وصلوا إليها؛ بل وصموا بعض التراكيب الفصيحة لدى قبيلة ما بالشذوذ بالنسبة لنحوهم»[25]. فضلاً عن إغفال العنصر الاجتماعي وعنصر الزمن وأثرهما في اللغة وتأسيس المعيارية[26].

ويذكر بعض الدارسين أسبابا أخر ومنها: تلافي الخطأ، وتأثّر النحو العربي بالمنطق الأرسطي، وهو منطق يعنى بالصورة أكثر من عنايته بالمادة، «ليضعوا اللغة في قواعد غير قابلة للخطأ، أي أنَّهم استهدفوا (الصواب المطلق) حفاظاً على لغتهم، وكأنَّهم بذلك يضعون قواعدَ عامة لعلوم الطبيعة والرياضة»[27].

غير أنَّنا لا نوافق بعض الباحثين الذين يميلون إلى القول بتأثّر النحو العربي في بداياته بالمنطق الأرسطي، فحركة الترجمة لم تنشط إلا في القرن الثالث الهجري بعد أن كُتب في النحو ما كُتب، ثم أنَّ بعض المستشرقين قد كفانا مؤونة الردّ على هذا الرأي أمثال (جيرار تروبو وجوتولد فايل)[28].

وهذا لا يعني عدم تأثر المتأخرين من النحاة بالمنطق في بعض جوانب النحو، كالقياس والعلل والبرهنة، ويكفي أن نراجع بعض المؤلفات للأنباري أو الزجاجي لنرى ذلك.

نتائج المعيارية

على الرغم من أهمية المعيارية التي تتجلى في المحافظة على «الاستقرار اللغوي بين مجموعة الفئات التي تنتمي إليها الأمة، وتسجِّل به تراثها، وتزداد الحاجة إلى المعايير كلما كبرت الأمة واتسعت رقعتها الحضارية وامتد بها الزمان»[29]، غير أنَّ هذا الأمر قد ألقى بظلاله على الدرس النحوي بصورة عامة، وتركه يعاني الجمود والانغلاق.

وقد تبين سابقا كيف أنَّ معيارية النحو العربي كان مردّها إلى أسباب سياسية وتجارية على الأرجح، تمثلت في الحفاظ على الزعامة السياسية والتجارية، التي امتلكتها قريش قبل الإسلام، فضلاً عن الأسباب الأخرى، الأدبية والتعليمية. وكانت هذه الانعطافة عن الوصفية في النحو قد أدت إلى تداعيات ونتائج، تركت أثرها على النحو العربي إلى يومنا هذا ومنها:

انغلاق اللغة على نفسها– لاسيما القواعد– وعدم قبولها للتطور، ووصف كل محاولة للتجديد أو للخروج عن هذه القوانين الصارمة بأنَّها (خرقٌ)، حتى أنَّ الدرس النحوي أصبح اجتراراً وتكراراً لكلمات الأقدمين، بل كثرت الشروح وشروح الشروح، فضلاً عن المتون والحواشي، فيؤلف المصنف كتاباً ثم يشرحه المؤلف نفسه، ثم يأتي من بعده من يشرح الشرح، أو يعلق عليه أو يكتب حاشية وهكذا، وهذه الشروح كلها تدور في الفلك نفسه.

لقد أغلقت المعيارية– بسبب الانحراف عن المعيار الصحيح المتمثل بـ(القرآن الكريم)- الباب أمام تجدّد البحث الوصفي للغة خلال مراحل تطورها المختلطة، فكان كلُّ مولد خارجاً عن دائرة الاستشهاد وإنْ كان فصيحاً، فلا يُستشهد به، وأُخرجَ الحديث النبوي الشريف بدعوى أنَّه مرويٌّ بالمعنى لا اللفظ، فكان الشعر العربي قد نال الدرجة الأولى، وكان له القدح المعلَّى في

الاستشهاد، ولم ينل القرآن الكريم ذلك الحظ العظيم الذي ناله الشعر العربي، بل كانت الآيات تؤوَّل بما يتناسب وقواعدهم، ومن ثم حرمان أبناء اللغة من معرفة التطور اللغوي في جميع أطوار اللغة وحياتها، بل ومن ثروة لغوية واسعة ونتاج لغوي ليس بالقليل.

ويرى د. إبراهيم أنيس أنَّه «كان على النحاة أن يقفوا موقفاً أكثر حزماً من الظواهر الشاذة أو النادرة، حتى لو كانت لبعض الفحول وشعراء الجاهلية كالنابغة» (30).

وهو ما أشار إليه د. تمام حسان بعبارة أوضح حين قال: «كان على النحاة أن يختاروا الفصحى على لسان قبيلة واحدة بعينها لتكون موضع الدراسة عندهم، أو كان عليهم أنْ يقتصروا على الفصحى كما تبدو في القرآن أسمى نص عربي من جميع وجوهه، فإنْ اعترض معترض بكثرة القراءات، فقد كان عليهم أن يختاروا إحداها. ولكن النحاة لم يفعلوا ذلك، وإنَّما استخرجوا نحواً تلفيقياً للغة على الصورة التي ارتضوها» (31).

وخلاصة القول أنَّ المعيارية يمكن أن تكون منهجاً لدراسة اللغة إذا توفَّر المعيار الأمثل والأنموذج الأعلى الذي «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» وهو القرآن الكريم. ولو انطلق النحو العربي من القرآن لما ناله ذلك التعقيد والصعوبة، فكان هذا الانحراف عن المعيار الصحيح سبباً في الانغلاق والانكفاء على الذات.

المبحث الثالث

النص القرآني والقواعد المعيارية للنحو العربي

كان ظهور النص القرآني في الجزيرة العربية إيذاناً ببداية جديدة لحضارة تمحورت حوله، فشغلهم عن الشعر والخطابة بسحره. ونشطت حركة التأليف فيما بعد، ولم يكن هناك شغل للعرب الا ببلاغته وسحره وتفسيره، فوضعت علوم النحو والصرف والصوت والبلاغة والتفسير وأسباب النزول والمناسبات وتأويل المشكل وكتبت في تلك العلوم مئات الكتب، وكلهم يمتح من هذا المورد العذب.

غير أنَّ تلك القواعد ما لبثت أنْ تحولت الى مقدسات لا يمكن المساس بها ولا تغييرها وان خالفت النص المقدس الذي وضعت لخدمته، فتعمقت الهوة بين النظريات والنص القرآني، وبدأ النحاة يؤولون ما خالف القرآن بتأويلات نحوية لا تخلو من التمحّل والتكلف في أحيان كثيرة حفاظاً على قواعدهم، ولأنّه نص ثري يحتمل التأويل ويتقبل التفسيرات والقراءات المتعددة.

وسنشير الى جملة من الأساليب والتراكيب النحوية التي ربما خالفت ثابتاً من ثوابت النحاة لكنها توافرت في القرآن بكثرة لافته للنظر، وكأنها تريد أن تؤسس لمنهج نحوي قرآني متكامل يسير على فصيح كلام العرب ولغاتهم ويوحد بينهم بلسان عربي مبين.

ومن تلك المواضع التي تأولها النحاة دون الحاجة الى التأويل ؛ لأنها نصوص تامة المعنى مكتفية بذاتها، المواضع الآتية:

❖ الاكتفاء بالعمدة (المبتدأ) دون الحاجة الى الخبر في آيات كثيرة ، تأوّلها النحاة على التقدير ، مع استغنائها عن ذلك بحكم السياق والمعنى[32].

من ذلك مثلا:

- {وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِباً فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ }البقرة283
- {وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ } النساء 92
- {ولا تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ} النساء 171
- {وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً } النساء81
- {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }النور53
- {طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ }محمد21
- {أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ }الطور30
- {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ } سبأ:15
- {لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ} فصلت:49

في هذه الأمثلة وغيرها قدم النحاة بتأويلات كثيرة لهذه النصوص القرآنية وأمثالها بتقدير مبتدأ محذوف أو خبر محذوف أو تقديرات أخرى، مع استغناء النص في حقيقته الى ما يكمله أو يستوفي أركان الجملة كما وضعها النحاة.

إنَّ السياق والمعنى يغنيان عن التقدير والتأويل الذي تكلفه النحاة مراعاة لقواعدهم، للاستغناء عن ذلك بالكلام السابق الذي قبلها، النص مكتفٍ بذاته، فقد تأوَّل النحاة الاسم المرفوع في هذه الآيات الكريمة على أنها مبتدأ أو خبر لمبتدأ محذوف تقدير الضمير، ثم تأويل ما بعده بما يتناسب مع ذلك رغبة في الحفاظ على القوالب والضوابط التي خطتها يد النحاة.

❖ **مجيء الاسم بعد (إذا)**

من المباحث التي خضعت للمعيارية مبحث مجيء الفعل بعد اذا فهي لا تدخل الا على الجملة الفعلية، على رأي أكثر النحاة او البصريين منهم، فيما جوز بعضهم مجيء الاسم بعدها على انه مبتدأ، وهو ما جاء كثيرا في النص القرآني.

- { إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ } التكوير1
- { وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ } التكوير2
- { وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ } التكوير3
- { وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ } التكوير4
- { وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ } التكوير5
- { وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ } التكوير6
- { وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ } التكوير7
- { وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ } التكوير8
- { وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ } التكوير10
- { وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ } التكوير11
- { وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ } التكوير12
- { إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ } الانفطار1
- { وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ } الانفطار2
- { وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ } الانفطار3
- { وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ } الانفطار4

هذه الآيات وأمثالها دأب النحاة على تأويل فعل محذوف يفسره المذكور في الاسم المرفوع الذي يعرب فاعلا أو نائب فاعل مراعاة لقاعدة دخول اذا الشرطية على الجملة الفعلية، مع أن الموجود في الجملة يغني عن التقدير والتأويل، ومن ثم إعراب ما بعد المرفوع جملة مفسرة لما تم تقديره، فما الجدوى من التقدير اذا كان في الكلام ما يدل على تمام المعنى، الا أن يكون ذلك مخالفا لقاعدتهم، ثم ما الذي سيحدث اذا قلنا ان الاسم المرفوع مبتدأ وما بعده جملة فعلية في محل خبر بعيداً عن التكلف والتأويلات المتعددة وتقدير ما هو موجود في الكلام أصلا؟ .

❖ **أساليب قرآنية خاصة**

❖ ما + لام الجر + ضمير المتكلم او المخاطب أو الغائب = مالك ، ما لي ، ماله[33].

يرد هذا الاسلوب في النص القرآني بصورة متكررة، وقد اختلف النحاة في تأويل ما بعده. ويشير د. الجواري الى هذا الامر قائلاً: « ولقد حير هذا الاسلوب القرآني عقول النحاة فلم يهتدوا

فيه الى سبيل، وخانهم الحس والذوق اللغوي فالتمسوا في التأويل والتقدير وسيلة، ولا سيما حين يجدون بعده معمولا لا ذكر ولا اثارة في الكلام للعامل فيه»[34]، فمن ذلك ما نقل عن الفراء في قوله تعالى: ((فمالكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا)) النساء 88.

نصب فئتين بالفعل تقول: مالك قائماً كما قال الله تبارك وتعالى: {فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ} المعارج36 [35]، ويرجح الجواري أنَّ هذا التركيب ليس بدعاً من العربية ولا يحتاج الى التأويل والتقدير، بل هو تركيب للغة موغلة بالقدم صنع فيها التداول وطول المراس وكثرة التصوف ما صنع فأحال افعالا الى حروف مثل ليس وعلى وخلا وعدا وحاشا ...

❖ **مجيء الجملة الحالية في القرآن الكريم المبدوءة بفعل ماضي غير مقترنة بقد**

ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى :

- {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }البقرة28
- {الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }آل عمران168

فجملتا (وكنتم أمواتاً، وقعدوا) غير مقترنة بقد، وهما جملتان حاليتان ، فخالف النص ما تواضع عليه النحاة في قواعدهم من اشتراط اقتران جواب الشرط اذا كان ماضيا بقد.

❖ **سوى وغير ليستا من باب الاستثناء**

لم ترد **سوى وغير** في القرآن بالمعنى الذي ورد عند النحاة في الاستثناء، فقد جاء في المفردات في جذر سوا: «المساواة المعادلة المعتبرة بالذرع والوزن والكيل، يقال هذا ثوب مساو لذاك الثوب... ومكان سُوىً، وسَوَاءٌ: وسط. ويقال: سَوَاءٌ، وسِوىً، وسُوىً أي: يستوي طرفاه ويستعمل ذلك وصفاً وظرفاً، وأصل ذلك مصدر.

وقال: { فِي سَوَاء الْجَحِيمِ }الصافات55 .

{سَوَاء السَّبِيلِ }البقرة108 ،

{ ٰانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء }الأنفال58 ، أي عدل من الحكم.

وكذا قوله { إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ}آل عمران64

وقوله: {وَسَوَاء عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ } . يس10

{سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }المنافقون:6 {سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا }إبراهيم21، أي يستوى الأمران في أنهما لا يغنيان.

{سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ }الحج25، وقد يستعمل سوى وسواء بمعنى غير، قال الشاعر:
فلم يبق منها سوى هامد ، وقال آخر: وما قصدت من أهلها لسوائكا»[36].

أما **غير** فقد جاء في معناها واستعمالها أنها: «على أوجه :

الاول :أن تكون للنفي المجرد من غير إثبات معنى به نحو مررت برجل غير قائم أي لا قائم، قال: { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ }القصص50 ،{وَهُوَ فِي الْخِصامِ غَيْرُ مُبِينٍ} الزخرف18.

الثاني: بمعنى إلاّ فيستثني به. وتوصف به النكرة نحو: مررت بقوم غير زيد أي إلاّ زيداً"، وقال: { ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي }القصص38، وقال{ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ }الأعراف59 . { هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ } فاطر3 .

الثالث: لنفي صورة من غير مادتها نحو: الماء إذا كان حاراً" غيره إذا كان بارداً "وقوله: { كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها}النساء56.

الرابع : أن يكون ذلك متناولا لذات نحو { الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِما كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ}الأنعام93. أي الباطل وقوله: { وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}القصص39 .{ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا }الأنعام164 . { وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ }هود57 . { ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هذا }يونس15[37].

في هذا النص أشار الاصفهاني الى المعاني التي ترد لغير، فغير تستعمل صفة بمعنى الغيرية أو للنفي سواء أكان للنفي العام أم للصفة أم للذات، وليس فيها معنى الاستثناء، أما الوصف بها ليس استثناءً، بل تضمنت معناها دون حكمها، فما الداعي لتضمينها احكام الاستثناء وضوابطه؟ وهل يصح تضمين الاسم معنى الحرف؟ هذه الدعوى تحتاج الى أدلة وشواهد مقنعة ووقفة طويلة مع الاستقراء النحوي.

- ❖ تعدي اللازم بغير حرف الجر أو استعمال المتعدي للتعدية بحرف الجر، مع عدم الحاجة الى التقدير[38].

- {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ }الأعراف16
- {فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }التوبة5
- { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }النور63

يلحظ على هذه النصوص القرآنية مخالفة الافعال لاستعمالاتها التي شاعت بين النحاة، غير أنَّ النحاة حاولوا أن يتأوَّلوا هذه الأساليب بالتضمين أو حذف الحرف أو زيادته. فقد عرف عن

الفعل (قعد) أنه متعدٍ، بل هو شائع في أمثلة النحاة قام وقعد، غير أنَّه استعمل متعدياً بلا حرف جر للمفعول به (صراطك).

وربما عكس الاستعمال جاء المتعدي بغير الحرف متعدياً بالحرف مع استغنائه عن الحرف في الاصل لغرض يتوخاه النص لا يتحقق الاّ بذلك الحرف، ومن ذلك :(**يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ)**، تقول: خالفت الأمر...ولا تقول خالفت عن الأمر، و(عن) تفيد التجاوز، وكأن النص يشعرك بعظم المخالفة وشدتها.

❖ لو الشرطية لا يليها الاسم

أشار جمع من النحاة الى أن لو الشرطية لا يليها الاّ الفعل، ونسب ذلك الى جمهور البصريين، الاّ ما جاء في ضرورة الشعر[39]، غير أن القرآن الكريم جاء بغير ذلك،

1- {وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُواْ واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّه خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ }البقرة103
2- {وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }الحجرات5
3- {وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} النساء167
4- { لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ } النساء30
5- { وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً } النساء46
6- {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً} النساء64
7- {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً } النساء66
8- {لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} النساء36
9- {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ} النساء65
10-{وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ } النساء:66
11-{وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } النساء:5

هذه الآيات وغيرها دلائل واضحة على جواز اتيان الجملة الاسمية المؤكدة بـ(انّ) وهو ما منعه النحاة أو جوزوه على استحياء أو ضرورة شعرية.

❖ وثمة أساليب وتراكيب أخرى ذكرها الباحثون والدارسون لا يتسع المقام لذكرها هنا وسنشير الى بعض عنواناتها فقط:

- استعمال الفعل فاعلا للنواسخ.
- اقتران خبر ما الحجازية بالباء بكثرة.
- اسم الفاعل يعمل ماضياً مضافاً الى معموله.
- اعمال المصدر بغير ما ورد في قواعدهم
- ليس لا تنفي المستقبل.
- إذ لا تستعمل للمستقبل.
- لا يجر مميز كم الاستفهامية بـ(من).
- أجمع لا يؤكد به دون كل.
- اللام في جواب (لو) لازمة ولا يجوز حذفها.
- لا يكون الظن بمعنى العلم.
- لا يجوز تقديم صلة الموصول الحرفي عليه.
- لا يجوز البدل من ضمير الرفع المتصل.
- لا يعطف فعل على فعل الاّ بشرط الاتفاق في الصيغة.
- لا تدخل (ال) على المفعول المطلق دون وصف.
- وعشرات المسائل التي أشار اليها الدارسون[40].

وبعد كل تلك الشواهد والمسائل تأتي القواعد النحوية لتتأوَّل مالا يوافق القاعدة وتقدر ما لا يحتاج الى تقدير، محكِّمةً المنطق النحوي في النصّ القرآني الذي سبق القاعدة وأسس لها.

الخاتمة

لابد لهذه الدراسة أن تسفر عن جملة من النتائج، وسنلخصها بنقاط:

1- ليست المعيارية منهجاً، بل يمكن أنْ تكون استراتيجية أو طريقة للتعلم وفهم اللغة.

2- يمكن للمعيارية أنْ تتحول إلى رؤيةٍ ومنهجٍ إذا توفّر فيها المعيار الأمثل الذي يستقي الدارس منه قواعده وأنظمته. ويمكن أن يكون القرآن الكريم معياراً مثالياً للقياس النحوي واللغوي.

3- إنَّ النحوَ العربي بدأ وصفياً وانتهى معيارياً صارماً لا يقبل النقض أو الجدل، بل أصبحت القواعدُ ثوابتِ لا يمكن مناقشتها أو تعديلها، وكل المحاولات التي أرادت أن تقِّدم تجديداً على مستوى النظام النحوي أو تيسيرا، وربما أكثرها لم تلقَ رواجاً، بل بقيت حبيسة الكتب بين النخب والمتخصصين، دون أنْ تنال حظها من الشهرة أو الشياع في الأوساط التعليمية .

4- تتعدد أسباب المعيارية بين الغرض التعليمي والمركزية الروحية لقريش وما حولها، وتأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي، وهو منطق يعنى بالصورة أكثر من عنايته بالمادة، فضلاً عن البنية الاجتماعية للعقل العربي التعصُّبي، الذي يفرض القاعدة ويريد الانقياد إليها، في الوقت الذي يقدِّس فيه آراء السلف ويجعلها (خطوطاً حمراءَ) ومقدسات لا يمكن المساس بها، أو تجاوزها.

5- في الوقت الذي رفض البصريون فيه الشاذ والنادر بدعوى (يحفظ ولا يقاس عليه)، أقام الكوفيون نحوهم عليهما، وهو أمرٌ يحتاج إلى وقفة أكثر صرامة من حيث الاستشهاد.

6- أدَّت المعيارية إلى تداعيات ونتائج، تركت أثرها على النحو العربي إلى يومنا هذا، ومنها: انغلاق اللغة على نفسها– لاسيما القواعد– وعدم قبولها للتطور، ووصف كلِّ محاولة للتجديد بأنها خرقٌ أو انتهاكٌ، فغدا الدرس النحوي تكرارا لما سبق، فتعددت الشروح والتعليقات والحواشي والمختصرات على المتن الواحد، وربما كانت للمؤلف نفسه، أو تدور في الفلك نفسه.

7- ثمة تراكيب وظواهر كثيرة في النص القرآني استعصت على النحاة فلجأوا الى التأويل والتقدير مراعاة للقواعد التي وضعوها. على الرغم من استساغة الذوق العربي وقبولها عن كثير من النحاة.

الهوامش

[1] أبو البقاء الكفوي(1014ه) ، الكليات، تح: د. عدنان درويش ومصطفى المصري، منشورات ذوي القربى، إيران، ط1، 1433ه : 551

[2] المصدر نفسه : 737

[3] د.جميل صليبا، المعجم الفلسفي: مط: سليمانزاده، منشورات ذوي القربى- قم، ط1، 1385ه: 399/2

[4] المصدر نفسه : 399/2

[5] المصدر نفسه : 400/2

[6] الكليات: 769

[7] المعجم الفلسفي: 435/2

[8] د. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط1، 1985م.: 223

[9] د. علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، بغداد، ط1، 1986م :10

[10] د.ميشال زكريا: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1983م :144

[11] ينظر: د. نعمة رحيم العزاوي، مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة، منشورات المجمع العلمي، بغداد ،2001م. : 96- 103

[12] ينظر: مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة : 134- 142

[13] د. كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب، القاهرة، 1998م.: ق1/ 56

[14] د. أحمد سليمان الياقوت، الكتاب بين المعيارية والوصفية، ط1، 1989م.: 16.

[15] ينظر: المصدر نفسه : 16.

[16] مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة: 144

[17] منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: 23

[18] د. تمام حسان، اجتهادات لغوية ، عالم الكتب، القاهرة ، ط1، 2007م : 14

[19] مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة: 125

[20] منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: 23

[21] الصواب : بوساطتها

[22] منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: 24.

[23] اللغة العربية معناها ومبناها: 13.

[24] د. مازن الوعر، جملة الشرط بين النحاة والأصوليين، لونجمان - مصر: 74-75

[25] اجتهادات لغوية: 35

[26] المصدر نفسه: 20

[27] منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: 28

[28] ينظر: د. خديجة الحديثي، المدارس النحوية ، دار الأمل، اربد ، الاردن، ط3، 1422هـ- 2001م.: 27

[29] د. إسماعيل احمد عمايرة، المستشرقون والمناهج اللغوية الحديثة، دار حنين-عمان، الاردن، ط2، 1992م: 94

[30] ينظر: المستشرقون والمناهج اللغوية الحديثة: 93

[31] اجتهادات لغوية: 20

[32] ينظر: احمد عبد الستار الجواري : نحو القرآن : ص 18- 26

[33] نحو القرآن: 93- 95

[34] المصدر نفسه: 94.

[35] معاني القرآن، الفراء: 280/1-281 .

[36] الراغب الاصفهاني، المفردات: 251 – 252.

[37] المفردات: 368.

[38] نحو القرآن: 50- 60.

[39] ينظر: النحويون والقرآن: د. خليل بنيان الحسون، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان- الاردن ، ط1، 2002م:32

[40] ينظر: هذه الأبواب في: نحو القرآن: د. الجواري، وظاهرة الاعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم: د. أحمد سليمان الياقوت، عمادة جامعة الرياض- السعودية، ط1، 1981م. الباب الرابع 186-227. والنحويون والقرآن: د. خليل بنيان الحسون، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان - الاردن ، ط1، 2002م.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- أبو البقاء الكفوي (1014ه)، الكليات، تحقيق: د.عدنان درويش ومصطفى المصري، منشورات ذوي القربى مط: سليمانزادة، إيران، ط1، 1433ه .
- أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء(207ه) معاني القران, تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار ، وعبد الفتاح اسماعيل شلبي , وعلي النجدي ناصف, (د.ط), الناشر: دار السرور (د.ت).
- أحمد سليمان الياقوت (الدكتور)، الكتاب بين المعيارية والوصفية، السعودية، ط1، 1989م.
- أحمد سليمان الياقوت (الدكتور)، ظاهرة الاعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم، عمادة جامعة الرياض- السعودية، ط1، 1981م.
- أحمد عبد الستار الجواري (الدكتور)، نحو القرآن، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1394ه-1974م.
- إسماعيل أحمد عمايرة (الدكتور)، المستشرقون والمناهج اللغوية الحديثة، دار حنين-عمان، الاردن، ط2، 1992م.
- تمام حسان (الدكتور)، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة ، ط1، 2007م.
- تمام حسان (الدكتور)، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994م.
- تمام حسان (الدكتور)، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1421ه -2001م
- جميل صليبا (الدكتور)، المعجم الفلسفي، مط: سليمانزاده، منشورات ذوي القربى- قم، ط1، 1385ه.
- خديجة الحديثي (الدكتورة)، المدارس النحوية، دار الأمل، إربد، الأردن، ط3، 1422ه - 2001م.
- خليل بنيان الحسون (الدكتور)، النحويون والقرآن، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان- الاردن ، ط1، 2002م.
- الراغب الأصفهاني (502ه)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
- سعيد علوش (الدكتور)، معجم المصطلحات الادبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط1، 1985م.

- عبده الراجحي (الدكتور)، النحو العربي والدرس الحديث– بحث في المنهج، دار النهضة العربية- بيروت، 1986م.
- علي زوين (الدكتور)، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، بغداد، ط1، 1986م.
- كمال بشر (الدكتور)، دراسات في علم اللغة، دار غريب، القاهرة، 1998م.
- مازن الوعر(الدكتور)، جملة الشرط بين النحاة والأصوليين، لونجمان– مصر،(د.ت).
- ميشال زكريا (الدكتور)، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1983م.
- نعمة رحيم العزاوي (الدكتور)، مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة، منشورات المجمع العلمي، بغداد،2001م.